

ترجمة مقال : المرأة اليابانية : كلهنّ " أوّشين " ، مجلة المعرفة ، الرياض ، ربيع الأول

١٤٢٣هـ / يونيو ٢٠٠٢م

المرأة اليابانية :

كلهنّ " أوّشين "

بقلم : سارة يوشيهارا

ترجمة د. شهاب فارس

أعتقد أن الكثيرين قد شاهدوا شخصية " أوّشين-Oshin " ، شخصية المسلسل التلفزيوني الياباني الذي تم بثه في سنتين دولة منها دول الشرق الأوسط مثل مصر والسعودية . وقد بُث هذا المسلسل لأول مرة في العام ١٩٨٣م ، وقد لقي شعبية كبيرة حيث وصلت نسبة مشاهدي المسلسل في اليابان أكثر من سنتين بالمائة . كما لقي شعبية كبيرة أيضاً في مصر لدرجة أن هناك من أطلق اسم " أوّشين " على مولودته الجديدة .

وقد لاحظت عند زيارتي لمصر أن الباعة عندما يشاهدونني أو يشاهدون يابانية أو يابانياً يبادرون بمناداته باسم " أوّشين " . ويحكي المسلسل قصة " أوّشين " ، البنت التي وُلدت لدى أسرة فقيرة من الفلاحين في منطقة " طوهوكو " شمال شرق اليابان ، وقد تركت أسرتها منذ صغرها لتعمل وتكسب قوت حياتها لها ولأسرتها ، وذلك كعادة الكثير من الفتيات اليابانيات قديماً حيث كن يتركن الأسرة للعمل كحاضنات في المنازل مثلاً عند بعض الأسر لتوفير قوت العيش . وقد صورّ المسلسل معاناة هذه الفتاة على مراحل مختلفة من تاريخ اليابان خاصة الفترة التي تلت الهزة الأرضية المدمرة لطوكيو العاصمة في العام ١٩٢٣م ، ثم الحرب العالمية الثانية في العام ١٩٤٥م وما بعد الحرب أيضاً إلى أن كبرت " أوّشين " وأصبحت تدير محل " سوبر ماركت " بنفسها . ونظراً لهذه المعاناة التي صورها المسلسل ، لقي المسلسل شعبية كبيرة لشخصية " أوّشين " المثابرة المكافحة التي تصور أحد الجماليات في الشخصية اليابانية عند اليابانيين .

ولكن لماذا لقي هذا النموذج من النساء اليابانيات هذه الشعبية في اليابان ومختلف بلاد العالم بالرغم من أنه بُث في عهد النمو الاقتصادي السريع لليابان و تبوؤها مكانتها بمصاف الدول الاقتصادية الكبرى في العالم ؟ هذا ربما يرجع إلى أن هذا النموذج من الشخصية اليابانية وطريقة تفكيرها تجاه المجتمع ، أصبحت شيئاً نادراً في اليابان نفسها ، حيث تمثل نموذج المرأة النموذجية التي افتقدها الرجل الياباني الآن . وكذلك لأنها ربما تُذكر المرأة اليابانية الآن بنموذج الأم أو الأخت أو الجدة للنساء اليابانيات قديماً . فهي تمثل المرأة المثابرة الصبورة التي لا تنهزم أمام الفقر ، وتمثل النموذج الياباني للمرأة اليابانية (الزوجة الصالحة والأم الذكية) ، وكذلك تثبت نموذج المرأة اليابانية في أنها إذا عملت تستطيع أن تستقل بنفسها اقتصادياً وتحقق ذاتها .

وقد كانت المرأة اليابانية قديماً في هذا العصر من غير المسموح لها أن تطالب برغباتها ، فهذا يعتبر من الصفات غير الحميدة للمرأة في التراث الياباني ، ولكن المرأة تعتقد أنها بالعمل وبذل الجهد في صمت أنها ستكافأ ، ويتحقق لها ماتريد حتى ولو كان ذلك في ظل هذه التقاليد الصعبة تجاه المرأة . وتعتبر الكاتبة القصصية لقصة " أوشين " - " هاشيدا سوغاقو - Sugako Hashida " أن " أوشين " شخصية تُعبر عن تاريخ الشعب الياباني ، وتقول أن نجاح هذه الشخصية عالمياً يرجع إلى أن المشاهد لم يتوقع مشاهدة عهد فقير في اليابان - القوة الاقتصادية الكبرى في العالم الآن ، كما أنها أعطت الأمل للناس في الدول النامية بتحقيق ما يريدون ببذل الجهد والمثابرة .

مركز المرأة اليابانية في المجتمع قديماً :

من المعروف في اليابان أن المرأة اليابانية كانت أقل منزلة في المجتمع من الرجل ، وهي خاضعة له تماماً وذلك خاصة في ظل سياسة التمييز الطبقي الصارمة بين مختلف طبقات الشعب في الفترة التي عاشتها اليابان طوال عزلتها الطوعية أبان حكم أسرة " طوكوغاوا - Tokugawa " من عام ١٦٠٣-١٨٦٨ م ، أي طوال ٢٦٥ عاماً . وحتى بعد انتهاء هذا العهد ودخول اليابان عام ١٨٦٨م عصر التحديث (١٨٦٨-١٩١٢ م) ، وإلغاء فكرة الطبقة في المجتمع الياباني ، ثم عصر " تايشو - Taishoo " (١٩١٢-١٩٢٦م) المعروف بعصر الديمقراطية في اليابان ، ظلت المرأة اليابانية على منزلتها في المجتمع وكأنها مازالت

تعيش في عصر الطبقة والإقطاع ، إلا بعض النساء القليلات ذوات الأفكار الراديكالية .
ونستطيع أن نستشف مستوى أو مركز المرأة اليابانية من خلال كلمتي : زوج (شوجين - shujin) ، وزوجة (أوكوسان - okusan) . فكلمة " شوجين - shujin " باللغة اليابانية تحمل معنى " السيد " ، والزوجة تحمل معنى " سيدة في ركن البيت " ، أي أن الزوجة مكانها البيت وتتادي زوجها بلفظ " شوجين - shujin " أي " سيدي " .
ومن هنا يتضح الفارق في العلاقة بين الزوجين . وهناك مقولة معروفة في اليابان وذلك بتأثير من الفلسفة الكونفوشوسية الصينية ، تعني أن المرأة اليابانية يجب أن تطيع ثلاث في حياتها : الأب وهي في صباها وشبابها قبل زواجها ، ثم الزوج بعد زواجها ، ثم الإبن بعد كبره أي في شيخوختها . وهذا يدل على مدى الطاعة الموجوبة على المرأة ، وخضوعها وقلة منزلتها تجاه الرجل . فمثلاً قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان من المعروف أن المرأة اليابانية لا يصح لها أن تأكل مع الرجل ، ولا يحق لها أن تغتسل أو تستحم قبله . وقد كان يحق للفتيات أن تتلقى التعليم الأساسي مثلها في ذلك مثل الأولاد ، ولكن بعد التعليم الأساسي ، كانت الفكرة السائدة عدم وجود ضرورة لتعلم الفتاة التعليم العالي ، وبالفعل كانت أعدادهن تتناقص بشكل كبير في سنوات التعليم العالي . وكانت بالطبع القرارات المهمة في الأسرة من حق ونصيب الرجل . وكثيراً ما يقال أن الوالدين في بعض الدول العربية يقرران زواج الفتاة بدون أخذ رأيها ، أو بدون أن ترى العريس قبل الزواج . ولكن هذا كان يحدث أيضاً قبل خمسين عاماً في اليابان . بالإضافة إلى ذلك ، عادة أن تغير الزوجة اليابانية لقب عائلتها بعد الزواج وتحمل لقب عائلة زوجها ، وهذه العادة مازالت موجودة حتى الآن .

ربة البيت اليابانية في الوقت الحاضر :

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية شاعت مقولة شهيرة في وسائل الإعلام وهي أن هناك شيئين أصبحا قويين في اليابان بعد الحرب هما الجوارب والسيدات ! . فالجوارب أصبحت قوية وممتينة ورمز للتقدم الصناعي السريع في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية ، وكذلك النساء حيث أصبح لهنّ حق الانتخاب والظهور في المجتمع ، وذلك في ظل الإصلاحات السياسية التي قامت بها قوات الحلفاء وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في اليابان بعد الحرب . فأصبح من حق المرأة اليابانية الإدلاء بالرأي في الأسرة والمجتمع ، بل تعتبر المرأة

اليابانية الآن هي التي تقوم بقيادة الأسرة وتخطط لنظامها . فهي تعتبر مركز الأسرة الحديثة في اليابان ، حيث يعتمد معظم الأزواج على الزوجات كلياً في إدارة ميزانية الأسرة تماماً ، حيث تحصل الزوجة على راتب الزوج وتُبقي له مصروفه الشهري الخاص به الذي يكفيها في معاملاته مع الناس فقط ، ثم تقوم الزوجة بإدارة البيت من هذا الراتب ودفع مصروفات البيت من أقساط شهرية مثلاً أو مصروفات تعليم الأولاد ، ودفع أجرة البيت وفواتير الماء والكهرباء إلى آخره . بل وتقع مسؤولية التعليم عليها ، فهي التي ترعى الأطفال وتقوم بالإشراف على تعليمهم و أداء واجباتهم المدرسية ، بل أن تنظيم وتأمين الحياة بعد تقاعد الزوج يقع على عاتق المرأة أيضاً ، فالزوج الياباني غارق في عمله كل يوم وكأنه خُلق ليعمل ويوفر الدخل للأسرة فقط .

إن متوسط العمر بالنسبة للنساء في اليابان ٨٤,٠١ سنة ، بينما المتوسط للرجال ٧٧,١٦ سنة . وهذه النسبة تمثل زيادة كبيرة تصل إلى حوالي ثلاثين سنة مقارنة بخمسين سنة مضت . ومتوسط الأطفال في الأسرة اليابانية الآن لم يتجاوز ١,٥ طفل ، أي أن متوسط عدد الأطفال لدى الأسر اليابانية يتراوح من طفل إلى طفلين ، وهذا بالطبع عدد قليل مقارنة بالأسر العربية . ومع متوسط زيادة الأعمار الآن في اليابان ، نجد أن المرأة اليابانية تفكر فيما ستفعله في حياتها بعد أن يكبر أطفالها ويستقلون بأنفسهم . وهذا القلق حول هذه الفترة من العمر موجود كثيراً خصوصاً عند ربات البيوت اللاتي ليس لهنّ عمل غير البيت والأسرة .

ربة البيت العاملة اليابانية :

تُعتبر نسبة العاملات الآن في اليابان من المعدلات المرتفعة في العالم ، حيث أن أكثر من نصف النساء يعملن وهنّ في نفس الوقت ربات بيوت . وتوجد أسر كثيرة يعمل فيها الزوجان ، كل في عمله . ولكن أعمال البيت تقع على عاتق الزوجة فقط ، ومازال القليل من الأزواج هم الذين يمكن أن يتحملوا أعباء أعمال البيت مع الزوجة . وبالطبع فإن فكرة تحمل المرأة وحدها عبء تربية الأطفال لم تتغير . وقد سنّ مؤخراً قانون في اليابان يمنح الزوج أيضاً حق الحصول على إجازة لتربية الأطفال بدلاً من الزوجة إذا رغب في ذلك ، ولكن بالرغم من ذلك من يتقدم بطلب إجازة من عمله لتربية الأطفال عدد قليل جداً . ولذلك فالمرأة اليابانية العاملة عليها بالإضافة إلى عملها ، عبء تربية الأطفال و أعمال البيت ، وكذلك

رعاية أسرتها وأهلها الكبار في السن أيضاً . وهذه الأعمال بالطبع ليست بالأمر الهين . فالـيابان لا يوجد فيها نظام استئجار الحاضنة مثلاً كما يوجد في أمريكا ، وكذلك لا توجد خادـمات تساعد في أعمال البيت وتربية الأطفال كما يحدث في الدول العربية . فمن الصعب العثور على خادـمات في المجتمع الياباني ، وإذا وُجدن فراتبهن مرتفع للغاية وربما يلتهم راتب الأسرة كلها ، حيث أن الخادـمات شيء نادر في اليابان . وفي العادة لأُسمين " خادـمات " ، ولكن يُسمين " السيدات المساعـدات " . وبلاشك إن النساء اليابانيات يغـبطن النساء العربيات على وجود خادـمات تخدمهن وتساعدهن في أعمال البيت . ونتيجة لذلك فإن رياض الأطفال في اليابان مرتفعة المصاريف وعليها إقبال شديد ، بل هناك من ينتظر في قائمة الانتظار لإلحاق طفله في رياض الأطفال خصوصاً في المدن الكبرى . ولذلك لا بد من اعتماد الزوجة على مساعدة والدتها أو حماتها مثلاً في تربية الأطفال في هذه الحالات حتى تستطيع أن تزاوـل عملها وتقوم برعاية الأسرة في نفس الوقت . وبالطبع هذا يعكس مدى الكفاح التي تقوم به المرأة اليابانية العاملة . و هذا الكفاح مقارنة بشخصية " أوشين " التي ذكرتها آنفاً يُعتبر أقل وأهون ، ولكن نستطيع أن نطلق على المرأة العاملة التي تحاول عمل توازن بين عملها داخل المنزل من تربية أطفال وأعمال البيت إلى آخره ، وبين عملها خارجه ، بأنها " أوشين " صغيرة .

وقد تغيرت نظرة المجتمع الياباني تجاه قضية عمل المرأة في الخمسين سنة الأخيرة . فبعد أن كانت المرأة تختص بالأعمال البيتية وتربية الأطفال فقط ، أصبح يُقال : " من الممكن للمرأة أن تعمل خارج المنزل " ، ثم تغيرت النظرة إلى : " من الأفضل أن تعمل المرأة " ، ثم تغيرت إلى " من الأجدر للمرأة أن تعمل " . وبالفعل أصبح النساء يمثلن نصف القوى العاملة تقريباً في المجتمع الياباني . و يعملن في مختلف المهن بما فيها المؤسسات الكبرى و المناصب السياسية من وزيرة أو نائبة في مجلس النواب وغير ذلك . ومع ركود الاقتصاد الياباني ، وزيادة نسبة المسنين وقلّة عدد الأطفال في كل أسرة ، بدأ القلق حول قلّة الأيدي العاملة مستقبلاً في اليابان ، ولذلك يجب على المرأة الآن أن تساهم في العمل في اليابان بشكل أساسي وعلى نطاق أكبر .

عهد الخيارات للمرأة و " أوشين " المعاصرة :

مع تقدم اليابان التي أصبحت قوة اقتصادية وتقنية في العالم ، ثم بعد دخولها عهد الركود الاقتصادي منذ عشر سنوات تقريباً ، تغيرت أساليب الحياة للمرأة . فبينما لم تتغير طريقة حياة الرجل الياباني ، إلا أن المرأة اليابانية أصبحت لها كثير من الخيارات في أسلوب معيشتها . فمثلاً في شبابها لها الخيار في أن تتقدم في دراساتها التخصصية ، أو أن تلتحق بعمل ما وتستمر فيه طوال حياتها ، أو أن تتوقف عن عملها بعد زواجها بلا عودة لهذا العمل ، أو أن تتوقف عند إنجابها للأطفال ثم تعود لعملها بعد إنتهاء إجازتها ، أو الالتحاق بعمل آخر بعد الوصول بمرحلة تربية الأطفال إلى مرحلة عمرية معينة . وهذه الخيارات بالطبع تعني الحرية للمرأة ، ولكنها في نفس الوقت تعني الحيرة والمعاناة عند الاختيار . حيث إن تطور أسلوب الحياة للمرأة اليابانية تغير بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي وقت قصير ليس بالتدريج و إنما بشكل مفاجيء ، الأمر الذي لم يمنح المرأة اليابانية مساحة من الوقت للتكيف مع هذا التغيير المفاجيء ، مما أدى إلى الحيرة والتخبط في بعض المراحل العمرية . وقد أدى هذا إلى الحيرة عند الفتيات مما أدى ببعضهن إلى تجارب كثيرة باختيارات خاطئة في بعض الأحيان في ظل غياب نموذج أو مفهوم جديد يُحتذى به للمرأة اليابانية . وهذا ربما يفسر بعض التطرف في استغلال الحرية عند بعض الفتيات والتخبط في طريقة تفكيرهن ، مثل الاستخدام المفرط لمستحضرات التجميل ، والمبالغة في التجميل والمظهر والتقليد الأعمى ، وغير ذلك من السلوكيات والأعمال التي تسبب القلق للأباء . ولكن على أي حال تحاول المرأة اليابانية الآن أن تجد النموذج المناسب لها وتعمل بجدية لتحقيق ذلك من غير الاستسلام للمصاعب . وكثيراً من النساء الآن يحاولن الملاءمة بين أعمال البيت وتربية الأطفال وإشباع رغبتهنّ وطموحن في العمل خارج البيت أيضاً ، وذلك مثل أخذ إجازة عمل مثلاً والانتظار حتى وصول الأطفال إلى سن المدرسة ثم العودة إلى العمل . وهناك ربات بيوت كثيرات تعملن كبائعات في المحلات التجارية والمطاعم والشركات ولكن لأوقات محددة كعمل جزئي بحيث يتيح لهنّ ذلك ممارسة دورهن الرئيسي في البيت أيضاً . وهناك ربات بيوت كثيرات يتعلمن أشياء كثيرة مختلفة مثل فن تنسيق الزهور وصناعة الخزف و طقوس الشاي على الطريقة اليابانية ، وفن الخط الياباني والرسم والفنون ، بالإضافة إلى اللغات الأجنبية والكمبيوتر وغير ذلك ؛ لتنمية وتنقيف أنفسهن والحصول على مؤهلات فيها ، ثم يقمن بالتدريس في مختلف الأماكن لاحقاً . وقد ذهبت أنا أيضاً عند عودتي إلى اليابان في الصيف الماضي إلى أحد المراكز الثقافية في المدينة التي

أسكن فيها لأتعلّم فن الخط الياباني ، وهناك وجدت عشرين سيدة بينهن رجل واحد فقط ، جنن ليستمتعن بتعلّم فن الخط الياباني .

وأخيرا ربما نستطيع القول أن صورة الزوجة اليابانية القديمة التي في خيال العرب وكثير من بلدان العالم قد تغيرت الآن . تلك الصورة التي صورتها شخصية " أوشين " وأكدتها كذلك المقولة الشهيرة " إن أردت أن تأكل أطيب الطعام فعليك بالطعام الصيني ، أما إذا أردت أفضل زوجة فعليك باليابانية " . ولكن الكثير من النساء اليابانيات تبذلن الآن قصارى جهدها سواء كانت عاملة أو ربة بيت ، لتنمية وتطوير نفسها باكتساب مختلف المعارف والقدرات لتحقيق ذاتها واختيار أسلوب حياتها الذي يتناسب معها . و ربما لا بد من وجود الرجل الذي يفهمها و يساندها ويقف بجانبها من أجل تحقيق ذلك .

تقول السيدة " هيراتسوكا رايتشو Hiratsuka Raichoo " - رائدة تحرير المرأة اليابانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر : " إن المرأة كالشمس " ، هذه المقولة التي تحمل عنوان كتابها أيضاً ، لم تفقد قيمتها حتى الآن . فكل عصر له مشاكله مهما اختلفت أفكاره ، ولكن المهم العيش بأمل وتفاؤل وعدم الانهزام أمام المصاعب ، وأن يبحث الانسان عن النموذج المناسب له ولأفكاره واسلوب حياته . فاستخدام الإنسان لكل طاقاته الممكنة يعني العيش بالطريقة التي تناسبه . ومن الممكن القول أن " أوشين " المثابرة الصبورة لتحقيق ذاتها، مازالت تعيش في أعماق المرأة اليابانية المعاصرة .